**ماذا حدث بطول العالم وعرضه؟\***

ما هذا الغل والضغن الذي تطفح به النفوس في عصر الوفرة والإلكترونيات؟ والمشي على القمر والميكنة الزراعية وارتفاع الدخول بين الزراع وأهل الحرف والأعمال اليدوية؟

كيف انقلب يسر العيش عسرا؟ والوفرة كمدا؟ وجريان المال نقمة؟ والعلم جاهلية؟ والتقدم قساوة؟ وكيف أصبح للفوضى مؤسسات؟ وللقتل نقابات؟ وللجريمة دولًا؟

هو الإفراز الطبيعي لحضارة مادية، لا تؤمن إلا باللحظة، فيتقاتل الكل على الفوز بتلك اللحظة بالمخلب والناب، ويتنافس الكل نهبا وسرقة وغشا.

فلا محاسبة ولا مراقبة، ولا عقاب لمن يفلت، ولا يبعث بعد موت، والعالم كنوزه مستباحة، وخيراته لا حارس لها ولا صاحب، فما بال آلاف المآذن وآلاف الكنائس وآلاف المحاريب؟

وحلقات الذكر وأصوات التمتمة والحمحمات هي كلمات لا تتجاوز اللسان، ولا تتخطى الحناجر، وكثرة تقول ما لا تفعل، وتفعل ما لا تقول. والقلوب خاوية على عروشها، والنفوس خراب، شغلها الشاغل المادة والمكسب والخسارة، وإن كان لسانها يقول شيئا آخر.

نعم، الحضارة المادية غزت القلوب وغزت النفوس، وأسكتت النيات، وأتلفت أكثر أهل الدين، فما عادوا أهل دين، بل أهل دنيا المادة، وراء هذا اللهاث وجنون المكاسب، وراء هذا الزحام والاندفاع بالأكتاف، والاستهانة بكل عرف وخلق، والتسابق الى اللذات، ونسيان كل شيء إلا حصاد اللحظة، وراء هذا الفساد الذي يكاد يقتلع الإنسانية من جذورها.

ولحظة بلحظة يجرى الإيقاع المجنون، وتتتابع مشاهد هذه المسلسلة الهابطة: "العالم 1985"، كما نراها في النشرات الإخبارية، وكما نقرأها في الصفحات الأولى من الجرائد وكما نشاهدها في التليفزيون. بل إن أجهزة الأعلام تسهم بأكبر نصيب في خلق هذا الجوع المادي، وهذا الشبق الحسي عند الناس، وتروج له بالروايات والمسلسلات والنشرات الإعلانية، والفيديو يقود الموكب اللاهث، والكل يجرى وراء لا شيء.

أحيانا أتمنى لو توقف هذا الطوفان من الهرج والمرج، وأخذ الناس إجازة من هذا اللهاث، ولو إجازة مرضية يقضونها في فراشهم، يتأملون ويحاسبون نفوسهم، وينظرون من بعيد الى شارع الحياة، وقفة بأمر المخرج الكوني .. سكوت .. صمت ..كلاكيت .. انتهى التصوير ..يهدم الديكور.

*مقال لد. مصطفى محمود بتصرف بسيط*